فكاهات

بعض الظن اثم (١)

في الجهة الشمالية من برلين وعلى مسافة بضعة اميال منهـا دسكرة صغيرة تبلغ مساحتها بضعة افدنة يمتلكها رجل من سراة الالمان يدعى البارون بَلْف ولهُ فيها قصر جميل جدًّا تحيط بهِ على مسافةٍ منهُ بيوت صغيرة متشابهة البنآء يسكن فيهـا العملة والمزارعون . وكان البارون بلف على جانب عظيم من الغنى وقد اكتفى من العالم بتلك البقعة فجعلها فردوساً ارضيًّا حوَّل بعضهُ الى غابات كثيفة للصيد وجعل البعض الآخر حدائق غنآء وارض زراعةٍ تزيد قيمة ريعها عن احتياجات البارون ومملكتهِ هذه الصغيرة . غير ان هذه القرية انفردت بأمرٍ واحد لا يشبهها فيهِ شيء من بلاد الله وهي انهُ لم يكن فيهـا احدٌ من جنس النسآء لا كبيرة ولا صغيرة ولم يكن يسمح لاحداهنَّ ان تطأ بقدميها حدود تلك الارض . وكان السبب في ذلك البارون بلف نفسهُ فانهُ لما كان فتى توفي والداهُ وتركا لهُ لقبًا شريفًا ومبالغ طائلة من المال واملاكاً واسعة فكان يدير اعمالهُ بنفسهِ بدقة وحزمٍ شديد فتضاعف دخلهُ واعتنى بعمارة تلك البقعة فخصصها لسكنهِ وسكن خدمهِ وعملتهِ . وأحب البارون فتاةً من الأُسر المتوسطة يقال لها اماليا يتيمة لا أب لها ولا أم وكانت تعلم في احدى المدارس فسلبت لبهُ بجمالها البديع الرائع وقدم لها قلبهُ ولكن الفتاة رأت انها ليست من مقام البارون فرفضت طلبهُ . فكان يلح عليها وهي مصرَّة على رفضها فيزيدهُ ذلك شغفًا بها وولوعًا ولما طال الحاجهُ قالت لهُ انني لست اهلاً ان اكون زوجةً لك فانك لو طلبت بنت اعظم انسان في المملكة لما مُنعت عنك . ولا انكر اني احبك حبًّا لا ينقص عن حبك لي ولكن نفس هذا الحب يدفعني الى ان لا القي بنفسي

(١) معرّبة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

على عاتقك ولا اتركك مضغةً في افواهِ النّاس فيقولون انهُ تزوج بفتاةٍ ليست من مقامهِ . وكان كلام اماليا يفعل في صدر البارون فعل النار في الحطب ويزيد حبهُ استعارًا فقال لها انهُ لا يهمني العالم بأسره فكيف اهتم بكلام بعض الحمقى وانا لست في حاجةٍ الى المال لاتزوج بغنية وانما انا في حاجةٍ الى قلبٍ طاهر ونفس شريفة ووداد اكيد وقد وجدت ضالتي فيكِ فلن احول عن عزمي . ولما رأت اماليا اصرار البارون على انفاذ مرامهِ قبلت اخيرًا فاقترنا واخذها الى قصرهِ المذكور وهو يرى انهُ قد نال اقصى امنيةٍ في الارض . ولما استراحت اماليا من عنآء التدريس وقضت مدةً في تلك البقعة الجميلة تتمتع بهوآئها المنعش ومسراتها الطبيعية والقت عن عاتقيها هموم الحياة اخذ جسمها في الاعتدال فأشرق وجهها بشمس نضارة الشباب وتورد خداها وامتلأت اعضآؤها فكان يزداد جمالها يوماً عن يوم ويزيد حب البارون لها حتى لم يعد يقوى على مفارقتها دقيقة واحدة . وفي السنة الثانية من زواجهما وضعت لهُ غلاماً آيةً في الجمال وسمياهُ ليو بولد

ولما كانت السنة الرابعة لزواجهما لاحظ البارون لاول مرةٍ ان زوجتهُ تتنهد في بعض الاحيان تنهدًا يندفع من اعماق صدرها كأنها تتأسف على شيء ليس في استطاعتها الحصول عليهِ . وكان من شدة حبهِ لها قد اصبح يغار عليها حتى من خطرات النسيم فأجفل لما رأى منها ذلك التنهد العميق وجعل يبحث في ذاكرتهِ لعلهُ يراها محتاجة الى شيءٍ لم ينلها اياهُ فوجد ان لديها ما لا تشتهي المزيد عليهِ وسألها هل في نفسها حاجة تروم ان يقضيها لها فشكرتهُ على ذلك وقالت كيف يمكن ان اكون في حاجةٍ الى شيء بعد كرمك هذا الذي اظهرتهُ لي . فكتم البارون الامر في نفسهِ وهو يود ان يعرف السبب الذي يحزن زوجتهُ فكان يلاحظ حركاتها بأشد انتباهاً من الاول فوجد ان تنهداتها كثيرة وانها اذا كانت معهُ تجتهد كثيرًا في اخفآء كمدها ومقابلتهِ بمنتهى البشاشة والسرور ولكنها كانت بعض الاحيان تتغلب عليها عواطفها الداخلية فتتنهد حسب عادتها ثم تمسح من مقلتها دمعة تترقرق في مآقيها . وفي ذات يوم دخل البارون الى غرفة زوجتهِ على غير انتظار منها وكان في

يدها رقعة تقرأها فلما شعرت بقدومهِ اخفت الرقعة في ثنايا ثوبها واستقبلتهُ كعادتها فطوّق خصرها بذراعيهِ وهو يكاد يذوب أسى لما يراهُ في هيئتها من الانكسار والحزن ثم جلس وقال لها يا اماليا أليس عندكِ ما تقولينهُ لي . فألقت رأسها على صدرهِ وقالت ليس عندي سوى حبي الشديد لك وشكري العظيم لافضالك . قال لا اعني هذا يا منتهى املي وانما اراكِ تكتمين عني سرًّا خفيًّا فهل اعتقادي صحيح وهل انتِ ضعيفة الثقة بزوجكِ فلا تخبرينهُ بكل شيء . فتوقفت اماليا وقد صبغ الدم وجنتيها وأطرقت بعينيها حينًا الى الارض ثم رفعت نظرها الى وجه زوجها وقالت لا تسئ الظن بي يا حبيبي فانا بجملتي لك محافظةٌ على قسمي الذي اقسمتهُ امام الله ان اطيعك واكرمك واحبك واحيا لك . ولست انكر عليك انني احفظ في صدري سرًّا ولكنهُ ليس لي فلا يمكنني ان ابوح بهِ الآن فلا تقلق ايها الحبيب وتيقن ان هذا السر لا علاقة لهُ بحياتنا الزوجية وليس فيهِ شيءٌ يقف بينك و بين زوجتك الامينة . نعم انني اود جدًّا ان لا اكتم عنك شيئًا واراني تعِسة للغاية اذ اؤتمنتُ على هذا السرّ ولا يمكنني ان اطلع عليهِ اعزّ شخصٍ لديّ في العالم بأسرهِ . فشعر البارون للحال بضبابةٍ كثيفة قد مرّت امام عينيهِ وكأن خنجرًا وخزهُ في صدرهِ ولكنهُ حبس انفعالاتهِ فتبسم وقال لكِ ما ترغبينَ فيهِ يا حياتي بشرط ان تبقي امينة محبةً لزوجكِ الذي لا بغية لهُ في العالم سوى ان يعيش واياكِ بطهارة الحب وسعادة العيش . و بعد ذلك خرج واياها فركبا عربةً وذهبا يتنزهان وفي ضمير البارون قلقٌ استحوذ عليهِ فلم يمكنهُ تسكينهُ مع اجتهادهِ في ذلك

وفي ذلك المساء جلس الزوجان الى مائدة العشاء حسب عادتهما ولما فرغا من الطعام نظرت اماليا بادلال الى زوجها وقالت لهُ لم اطلب منك شيئًا خصوصيًّا حتى الآن ويعوزني مبلغٌ قليلٌ من المال فهل تريد ان تعطيني اياهُ . قال حبًّا وكرامة يا حبيبتي ولا ألذ عندي من سؤالكِ اياي شيئًا فما هو المبلغ الذي تحتاجين اليهِ . قالت لا احتاج إلى مقدارٍ معين فالذي يوجد في جيبك الآن ويمكنك الاستغناء عنهُ يكفي . فأخرج البارون من جيبهِ محفظةً واخذ منها اوراق بنكٍ بقيمة خمسين

ليرة فناولها لزوجتهِ قائلاً هل يكفيكِ هذا القليل يا حبيبتي . فكان جوابها بدموع الشكر وقد عانقت زوجها وتمتمت ببعض كلمات سمع نغمتها ولم يدرك حقيقتها . و بعد قليلٍ استأذنت اماليا في الذهاب الى غرفتها لتنام فأوصلها البارون اليها وعاد الى غرفتهِ وفي رأسهِ افكارٌ شتى . ولم يمكنهُ معرفة الداعي الى طلب زوجتهِ للدراهم وهي ذاهبة الى فراش النوم وخيَّل لهُ شيطان الغيرة طرقًا عديدة تتبعها بافكارهِ فأصابتهُ في رأسهِ حمى محرقة فاطفأ مصباحهُ ليخفف من حرارة الغرفة ولما لم يجدهِ ذلك نفعًا عمد الى نافذتهِ ففتحها وجلس امامها فهبَّ في وجههِ نسيمٌ بارد استروح اليهِ ولبث ثمة غائصًا في بحار من التأملات . ومضت عليهِ ساعاتٌ في تلك الحال وهو لا يشعر حتى قرع اذنيهِ صوت ساعة القصر تؤذن ببلوغ الساعة الحادية عشرة فانتبه الى نفسهِ وخشي ان تؤثر رطوبة الهوآء في صحتهِ فهمَّ بالدخول واغلق النافذة ولكنهُ لم يكد يفعل حتى رأى في طرف الحديقة نورًا ضعيفًا قد ظهر لحظةً ثم اختفى . فعاودتهُ هواجسهُ بشدةٍ اعظم وتأكد انهُ من المستحيل ان يكون النور من احد رجال قصرهِ أو عملتهِ وكلهم ينامون باكرًا فلا بد ان تكون هذه علامة بين شخص غريب وأحد سكان القصر ولبث واقفًا في مكانهِ ليرى ما يكون بعد ذلك . ومضت بضع دقائق ساد فيها سكوت عميق وظلمة مدلهمة خالها البارون دهرًا حتى داخلهُ الشك هل كان النور الذي رآهُ حقيقيًا أو مجرّد تخيلٍ منهُ . وانهُ لكذلك واذا بباب القصر قد فتح بمنتهى الهدوء والسكون وخرج منهُ شبحٌ أبيض وقف قليلاً ثم سار بسرعةٍ مسافة قصيرة واشعل عودًا من الثقاب واذا بوقع خطواتٍ ثم اقترب من منتصف الحديقة شبحٌ اسود بان على ذلك النور الضعيف انهُ رجل في عنفوان الشباب جميل الصورة حسن التركيب فما اقترب من الشبح الابيض حتى تعانقا عناقًا طويلاً ثم تبع ذلك حديث استمرّ وقتًا ما و بعد ذلك دفع الشبح الابيض الى الرجل شيئًا ملفوفًا في منديل وتعانق الاثنان وسار الرجل من حيث اتى واخفاهُ الظلام . اما الشبح الابيض فبقي واقفًا الى ان رأى النور الضعيف عند منتهى الحديقة كما ظهر في المرة الاولى فأدار ظهرهُ وعاد الى جهة القصر من حيث خرج فدخل الباب وعاد

القصر والحديقة الى سكونهما الاول

اما البارون فكان واقفاً ينظر وقد جحظت عيناهُ واعتُقل لسانهُ فكان كتمثال حجري لا يتحرّك حتى ان تنفسهُ كاد ينقطع ليمنع حركة جسمهِ . فلما دخل الشبح واغلق الباب عادت اليهِ قوتهُ الجسدية وشعر بلين عضلاتهِ فعاد الى غرفتهِ وخرج الى الرواق وكان فيهِ مصباحٌ كهربآئي فاختفى تحت ستارة احدى النوافذ وجعل يراقب الشبح القادم حتى اقترب فتبينهُ واذا بهِ نفس زوجتهِ الامينة اماليا . وكان هذه لم يكن في عملها ما يستوجب تبكيت ضميرها فسارت بقدم ثابتة وهي غير مبالية الى ان بلغت غرفتها فدخلتها واقفلت الباب ورآءها . فعادَ البارون الى غرفتهِ وقضى بقية ليلتهِ يتخطر في الغرفة ذهاباً واياباً الى ان بزغت شمس الصباح . ولما اجتمع بزوجتهِ على مائدة الطعام رأى في وجهها علائم السرور فزادت غيرتهُ اتقاداً وكانت هي ملتهية بسرورها فلم تنتبه الى اصفرار وجههِ وشحوب لونهِ وسألتهُ هل هو باقٍ على وعدهِ لها بأن يرافقها في ذلك اليوم الى برلين لقضآء بعض الحاجات . فقال اراني منحرف المزاج يا عزيزتي فلا بأس من ذهابكِ وحدكِ وقد امرت الحوذي ان يكون مستعدًّا لخدمتكِ . ولم يخطر على بال تلك الزوجة ما اعدهُ لها الغيب فذهبت الى غرفتها وارتدت ملابسها ثم ودعت زوجها وركبت العربة فسارت وخيولها تنهب الارض نهباً . ولما بلغت برلين قصدت محلاً تباع فيهِ الجواهر وكانت قد اوصت صاحبهُ بصنع هديةٍ تقدمها الى زوجها في يوم عيد زواجهما فلما دخلت المحل ناداها الحوذي قائلاً تفضلي يا مولاتي باستلام هذا الكتاب فقد اعطاني اياهُ البارون وامرني ان اسلمكِ اياهُ متى بلغت اول محل . وما كادت اماليا تتناول الرسالة حتى انقلب الحوذي عائدًا الى عربتهِ فألهب ظهر الجوادين بسوطهِ واخفى الغبار العربة فلم تعد تراها . فاستغربت هذا العمل غاية الاستغراب ووقفت حائرةً ثم انحازت الى جهة من المحل وفضت الرسالة فاذا فيها ما يأتي

« أيتها الخائنة

قد ضحيت حياتي وشرفي ومالي وما أملك على مذبح عبادتكِ ولم اطلب منكِ

الا ان تكوني امينةً في حقي وقد وعدتِني بذلك وكان وعدكِ كاذباً . اجل انكِ قد خنتِني يا ماليا وما كنت لاصدق ذلك لو اخبرني بهِ ملك من السمآء ولكني رأيت بعيني فآمنت . فاذهبي ايتها الخائنة الى حيث تتبعكِ لعنتي فلا ترين بعد عملكِ هذا راحة ولا سروراً. اعتقد ان ليو بولدهو ولدي فسأبقيهِ معي يندب مسببة شقآئهِ واما الولد الثاني الذي ستضعينهُ قريباً فلا اريد ان اعرفهُ كما لا اريد ان اعرفكِ بعد الآن . اياكِ ان تطمعي في مقابلتي أو العود الى قصري فانكِ لا ترين الا ابواباً مقفلة في وجهكِ وانني من الآن سأطرد من قريتي كل انثى فأطهّر ارضي بأسرها من جرثومة الخيانة التي يولّدها جنسكِ البارون بلف »

وكانت ماليا تقرأ الرسالة وتعيد نظرها في كل كلمة لتتحقق هل هي في يقظةٍ وشعرت ان الارض تموج تحت قدميها ولكنها جهدت نفسها في امتلاك روعها وطلبت من صاحب المحل ان يجهز لها ما اوصتهُ بعملهِ واعطتهُ عنوان زوجها البارون ليرسلهُ اليهِ في اليوم الثاني . ثم خرجت بثبات جأش ورسوخ قدم فاستدعت مركبةً اقلتها الى فندقٍ صغير في بعض الاحيآء الحقيرة من المدينة ولما وصلت نقدت السائق اجرتهُ واكترت غرفة دخلتها واغلقت بابها . وشعرت اذذاك لاول وهلةٍ بانفرادها وبالحالة التي هي فيها فألقت بنفسها على السرير واستخرطت في البكآء والانتحاب

اما البارون فلما عاد اليهِ الحوذي واخبرهُ بما فعل اصدر امرهُ الى جميع رجال قريتهِ انهُ لا يأذن لاحد منهم ان يدع زوجتهُ او ابنتهُ او اختهُ في القرية ثم استدعى خادمات القصر فصرفهنَّ ولم تغب شمس ذلك اليوم حتى لم تبقَ فتاةٌ ولا امرأةٌ في كل انحآء القرية . ومن العملة من لم يمكنهم ترك نسآئهم فاستعفوا من خدمة البارون ومنهم من فضل البقآء في شغل مولاهُ فنقل اهل بيتهِ الى بلدةٍ اخرى قريبة فكان يعمل كل ايام الاسبوع ويذهب في آخرهِ لقضآء يومٍ أو يومين مع اهل بيتهِ

ولبث البارون مدةً مشرد الفكر مفقود التسلية حزين النفس وهو يجتهد في ان يسرّي عن نفسهِ وكانت كراهتهُ الشديدة لجنس النسآء تزداد يوماً بعد يوم الى ان نسي ماليا تماماً ورأى في اشغال قريتهِ وتربية ابنهِ ما انساهُ الماضي بجملتهِ وكانت

قريتهُ كما ذكرنا فردوساً أرضياً ولم يكن فيها اثرٌ لانثى

وبعد مضي نحو عشرين شهرًا من تاريخ هذه الحادثة استيقظ البارون في احد الايام باكرًا كعادتهِ فخرج الى الحديقة المحيطة بالقصر يتمشى فيها ريثما يقرب وقت الطعام . و بينما هو سائر بين خمائل الرياحين والازهار قرع اذنيهِ صوت بكآء طفل بالقرب منهُ فاستغرب الامر وسار الى جهة الصوت فرأى على بساط من الخضرة طفلاً ملفوفًا في ثياب رثةٍ فظنهُ ابن احد الفقرآء عجز والداهُ عن تربيتهِ فطرحاهُ على مكارم البارون لما اشتهر عنهُ من فعل الخير . فادركتهُ عليهِ الشفقة وتقدم لينتشلهُ ولكنهُ حالما وقعت عينهُ عليهِ تحقق انهُ طفلة فاجفل من منظرها وابتعد عنها للحال ثم جعل يصيح بأعلى صوتهِ الى الخدم ان يدركوهُ . ولم يكن احد منهم بالقرب فلم يُستجب ندآؤهُ فهرول الى جهة القصر منادياً وهو يلتفت الى ورآئهِ خوفًا ان تكون الطفلة قد تبعتهُ . ولما بلغ باب القصر استقبلهُ خادمٌ مسنٌّ يقال لهُ هرمن كان البارون يحبهُ جدًّا فقال لهُ البارون اذهب حالاً الى تلك البقعة فتجد فيها شيئًا فخذهُ بدون ابطآء وألقهِ في النهر او في النار او اين شئت بشرط ان يكون ذلك خارج تخومي . ولم يفهم الخادم ما هو ذلك الشيء ولكنهُ رأى من لهجة مولاهُ ما لا يسمح لهُ باطالة الحديث فبادر الى حيث امرهُ وسار البارون ورآءه على غير هدًى . ولما بلغ الخادم البقعة المشار اليها وجد الطفلة فادرك سبب ارتعاش مولاهُ فانحنى ورفعها بين ذراعيهِ وتفرس فيها فرأى فيها جمالاً وجاذبًا قويًا فضمها الى صدرهِ وكان لهذا الخادم ابنة من سن هذه الطفلة قد ماتت ووالدتها في يومٍ واحد فتذكرهما وتساقطت دموع الحزن على وجههِ . اما البارون فكان ينظر اليهِ وهو يعجب من ابطآئهِ في تنفيذ اوامرهِ فصاح بهِ قائلاً الا تزال واقفًا هنا اذهب وافعل كما امرتك . فقال الخادم انك اشتهرت يا مولاي بعمل الخير والاحسان والرأفة بالفقرآء فكيف تمحو كل اعمالك الجيدة الآن بقتل هذه النفس الطاهرة . فقال البارون لا نفس طاهرة لهذا الجنس ولا اجد خطيئةً في قتلها بل رحمةً بمن ربما يقع في اشراك شرّها اذا كبرت . فقال الخادم كلا يا مولاي فليس كل النسآء سوآءً ولكن طبائعهنّ تكون بحسب تربيتهنّ فانا

اضمن انهُ اذا اعتُني بتربية هذه الطفلة من الآن كما يجب تنشأ ملكاً طاهرًا افضل من كثيرين من جنسنا نحن الرجال . وكانت الطفلة كانها قد فهمت مدار الحديث فسكتت عن البكآء ونظرت الى البارون نظرة ذل وانكسار وهي كمجرمٍ ينظر الى القاضي مسترحمًا ان يرفق بهِ في حكمهِ . وفعلت نظرتها في قلب البارون فعل سهم حادٍّ فادار ظهرهُ وقال للخادم استبقها ولكن اخرجها من املاكي وهبها لمن يريد ان يأخذها . فقال الخادم امرك مطاع يا مولاي لكن تأذن لي ان آخذها الآن الى منزلي وابقيها عندي الى ان اجد من يعتني بها في احدى القرى القريبة . قال لا لا هذه لا تبقى هنا ابدًا لكن تأخذها في هذه الساعة وتغيبها عن وجهي . قال اني هذا النهار سأسعى في البحث عمن يقبلها لكن الامر يقتضي مهلةً بحيث لا اسلمها الا الى من يحسن تربيتها على الخلال الحميدة والآداب الحسنة حتى لا يقع احد في شرك شرها اذا كبرت ... فتبسم البارون وقال لا بأس ابقها عندك ما شئت وان احببت ان تربيها انت فافعل لكن بشرط ان لا تدعني ارى وجهها ولا اسمع صوتها وان لا تستخدم انثى لتربيتها . ولما قال هذا عاد الى القصر وحمل الخادم الطفلة فوضعها في غرفتهِ وكان يعتني بها بحنو لامزيد عليهِ . ثم كرّت الايام ونسي البارون هذه الحادثة ايضًا كالحوادث التي سبقت وكان كل يوم يطوف بولدهِ ليوبولد في جميع انحآء القرية يشرفان على العملة واعمالهم فيرتبان المشروعات الجديدة ويبتكران الطرق المفيدة فكانت الاعمال جارية بمنتهى النظام والدقة

و بلغ ليوبولد السنة الرابعة عشرة فكان مثال ابيهِ في الصورة والكمال وحب الخير ومؤاساة المساكين وكان يجول بين المزارعين فيساعدهم في اعمالهم و يعين الضعفآء منهم و يفرق عليهم من المال الذي كان والدهُ يعطيهِ اياهُ لنفقتهِ الشخصية . وحدث يومًا انهُ مرّ باحد الفعلة الذين ينقلون الاحجار فرآهُ حاملاً حجرًا كبيرًا وهو يمشي متثاقلاً ودلائل السقم والهزال بادية على جسمهِ . فاقترب ليوبولد منهُ وقال أراك متعبًا يا هذا من حملك فهلاّ استرحت قليلاً . فنظر العامل الى ليوبولد وكان قد اخذمنهُ الكلال والضعف فهوى ساقطًا الى الارض فتقدم ليوبولد بسرعة البرق ودفع الحجر الى

جانب كي لا يسقط على صدر العامل فيقتلهُ ثم اخرج من جيبهِ زجاجة جرّعهُ منها قليلاً وجلس بجانبهِ يلاطفهُ ويخفف مصابهُ ثم قال لهُ ما اسمك يا صديقي . فقال الفاعل اسمي هرمن . فقال ليو بولد هل لك زمان طويل في خدمة ابي . فقال ابتدأت خدمتي هذه منذ تسع سنوات . فقال ليو بولد عجباً فكيف لم أرَك في كل هذه المدة مع اني اعرف جميع العملة الذين هنا . فقال هرمن اني كنت في المدة الماضية في في الجانب الآخر من القرية وكان عملي الاعتناء بالمواشي وتنظيف مراقدها فقلما كنت اخرج ولم يتفق ان تزور يا مولاي تلك الجهة لتراني . فقال هرمن ولكن ابي يدعو جميع العملة في القرية لتناول الطعام على مائدتهِ مرتين في السنة أفلم تأت في هذه الدعوات قط . فقال هرمن كلاّ لسوء حظي فانني كنت دائماً أكون مريضاً في مثل تلك الاوقات فيتعذر مجيئي . فقال ليو بولد سأرى وكيل الاعمال وأعنّفهُ لعدم ذكرهِ لنا ذلك في حينهِ فقد كان في امكاننا ان نرسل لك نصيبك . فقال هرمن اطلب اليك يا مولاي ان لا تفعل فان الوكيل كان رحيماً شفيقاً يعتني بي اعتناء الاخ باخيهِ . فقال ليو بولد ولماذا اذاً تركت عملك الاول المريح واخترت عليهِ نقل الاحجار الثقيلة واجهاد النفس . فقال هرمن وقد ظهر عليهِ الاضطراب شعرت بدنوّ اجلي فوددت ان يكون شغلي بقرب القصر لعلي ارى يوماً سيدي البارون او ابنهُ فطالما سمعت عن لطفهما وتولد فيَّ الشوق لان أراهما قبل مماتي . ثم تلجلج نطق هرمن وارتجفت شفتاهُ فلم يستطع الكلام بعد . واخذت ليو بولد الشفقة عليهِ فتناول من جيبهِ قبضةً من النقود فالقاها في يد الفاعل وامرهُ ان يستريح بقية يومهِ وعاد الى القصر

وفي اليوم الثاني ذهب ليو بولد حسب عادتهِ وهو يود ان يقابل هرمن فلم يجدهُ في محل شغلهِ وسأل عنهُ فقيل لهُ انهُ مصاب بحمى منعت خروجهُ من بيتهِ . فاستدل على محل اقامتهِ وذهب اليهِ ولما دخل ليو بولد الغرفة كان هرمن ملقىً على سريرهِ في غيبوبة الحمى وهو يقول اشكرك يا الهي فقد رأيت ولدي وملكت روعي فاسمح لي ان ارى زوجي ايضاً وقوّني لاحتمل مقابلتهُ دون ان ينكشف امري . فاستغرب

ليو بولد هذا الكلام جدًّا واقترب من سرير المريض فجثا بجانبهِ ووضع يدهُ اللطيفة على رأسهِ يجس حرارتهُ . وفتح هرمن عينيهِ فوقع نظرهُ على ليو بولد فامتعض في سريرهِ ثم هب من رقادهِ فطوَّق عنق الفتى بذراعيهِ وجعل يذرف دموعاً سخينة وهو يقول آه ياولدي آه يا ولدي . فوقف ليو بولد حائرًا لايفهم شيئاً من ذلك وكأن هرمن ندم على ما فرط منهُ فرجع الى سريرهِ واستخرط في البكآء . فلبث ليو بولد بجانبهِ يلاطفهُ ويطيب خاطرهُ الى ان افاق فسألهُ ايضاح ما سمعهُ منهُ فأبى وألح عليهِ الفتى فقال هرمن انني اطلعك على سرٍّ خفيٍّ جدًّا اذا عاهدتني بشرفك ان لا تطلع احدًا عليهِ . فقال ليو بولد أقسم لك يا هرمن بحياة والدي وشرفهِ انني احفظ في صدري ما تفشيهِ لي وما كنت لأُلحَّ عليك في ذلك لولا ما سمعتهُ من كلماتك المتقطعة التي شغلت فكري . فاستوى هرمن في فراشهِ وقال ما كنت لابوح بقصتي لاحد غير انني اشعر بدنوّ اجلي ولا اريد ان يلعن ابني ذكر والدتهِ كما لعنها ابوهُ . ثم كشف عن صدرهِ وقال انظر يا ليو بولد فان الذي يكلمك ليس هوهرمن كما تعتقد بل هو امرأة واسمها ماليا وهي ماليا بلف . ولا اخجل ان اريك هذا الصدر فانهُ صدر والدتك الذي منهُ غُذيت وعليهِ ربيت . ثم رفعت ليو بولد بقوة غير مألوفة فاجلستهُ في حجرها وقبلتهُ مليًّا واخذت في تلاوة قصتها فقالت

توفي والدايَ وانا صغيرة وتركاني لعهدة اخٍ اكبر مني ولم يكن لدينا شيء من المال فدخل اخي في الجندية وكان ينفق علينا ما يحصلهُ بكدهِ واجتهادهِ ثم ارسلني الى مدرسة تلقيت فيها دروسي على نفقتهِ. وفي ذات يوم صدر امرٌ الى فرقتهِ ان تنتقل الى بلاد بعيدة فذاب قلب اخي اسى وتوسل الى قائدهِ ان يسمح لهُ بالبقآء لانهُ لا يمكنهُ تركي وحدي فلم يجب القائد طلبهُ واجبرهُ على الذهاب . ولما وجد أخي انهُ لا بد من اطاعتهِ الاوامر العسكرية وانهُ لايقوى على فراقي وانا بدون ملجأ ولا مجير سافر مع الفرقة ثم هرب منها في اوائل الطريق وعاد الى برلين متخفياً . ولما عُرف امر هربهِ اجتمع المجلس العسكري وقرر انهُ فارٌّ من الجندية فحكموا عليهِ بالاعدام وبثوا العيون والارصاد لالقآء القبض عليهِ . اما هو فكان يجيئ اليَّ سرًّا فيعلمني

بحالهِ ثم يذهب فيختفي بين الادغال في البراري . وفي اثنآء ذلك توفقت الى التعليم في المدرسة التي تعلمت فيها فكنت أجمع اجرتي وادفعها لاخي كلما زارني مرةً الى ان اخبرني انهُ لم يعد يأمن على نفسهِ فودعني ولم أعد اراهُ . واتفق ان رآني البارون بلف وكان نصيبي ان اكون زوجتهُ فنلت عندهُ تمام السعادة وحصلت على أعظم نعمة يمكن الحصول عليها فلم يكن يهمني قط الا امر اخي وانا لا ادري ما حلَّ بهِ

وفي ذات يوم اتاني كتاب من اخي ولا ادري كيف وصل الى يدي يقول فيهِ انهُ عرف بما صرت اليهِ وقد سرّ سروراً عظيماً بالسعادة التي صادفتني وانهُ قد صار في امكانهِ ان يتركني ويود السفر والابتعاد عن المملكة الالمانية لانها اصبحت كلها عيوناً تترصدهُ ولكنهُ يعوزهُ مبلغ من المال وضرب لي موعداً اقابلهُ فيهِ في تلك الليلة نفسها . ولم اتمكن من اعلام زوجي البارون بالامر مع الحاحهِ عليَّ بأن اخبرهُ بالاسباب التي توجب قلقي لاني خشيت ان يحصل لاخي مكروه . وقابلت في تلك الليلة اخي حسب الاتفاق في ظلام الليل عند باب القصر فقبَّلتهُ بشوق شديد ثم دفعت اليهِ مبلغاً من المال كنت طلبتهُ من البارون ثم ودعتهُ بحرارة وسار وكان ذلك آخر عهدي بهِ . وفي اليوم التاني اتيت برلين لقضآء بعض الحاجات الخصوصية فما بلغت وجهتي حتى دفع اليَّ الحوذي كتاباً من البارون يطردني من بيتهِ ويحظر عليَّ العودة اليهِ ويمطر عليَّ اللعنة ويتهمني بالخيانة فانهُ ولا شك قد رآني في تلك الليلة اودّع اخي فظن بي سوءاً وكان ما كان . فآه آه لو اخبرني بظنونهِ أو لو بحت لهُ بسرّ أخي فانهُ لو كان أحد الامرين لما صادفني هذا الشقآء

ولما رأيت نفسي وحيدة في العالم وكنت خاملاً طلبت معونة الله وتوجهت الى فندقٍ اقمت فيهِ وكنت انفق من مبلغٍ كنت جمعتهُ لنفسي ولما نفد ما معي شرعت في بيع الجواهر والمصوغات التي كنت متحليةً بها . وبعد اشهر قليلة وضعتُ ابنةً واجتهدت في تربيتها فما كادت تتمّ السنة الاولى حتى لم يعد عندي درهمٌ فرد واضطررت الى الخدمة لتحصيل معيشتي . ولما كان في وجود ابنتي ما يعوقني عن

ذلك لفقتها يوماً بأطمارها البالية واخذتها ليلاً الى ان بلغت قصر البارون فتركتها بين الاعشاب والرياحين ووقفت عن بعدٍ اراقبها واتضرّع الى الله ان يسهل لها من يعتني بها . ولما بزغ الصباح خرج البارون كعادتهِ الى الحديقة واستوقفهُ بكآء الطفلة فمال اليها ولكنهُ ما تحقق انها ابنة حتى كاد يقتلهُ الغيظ وقدر الله حضور خادمهِ الخاص فاقنع مولاهُ واخذ الابنة ليربيها . اما انا فلا تسل عن انكسار قلبي مما شاهدت ولكنني حمدت الله لارسالهِ من يعتني بالطفلة وعدت بدون ان يعلم بي احد فقضيت اياماً في برلين خادمة في بعض البيوت ولكنني لم امتلك صبرًا على فقد ابنتي وكان الشقآء قد غير هيئتي فابتعت بما جمعتهُ من المال ثياب رجل وجئت الى هنا فعرضت نفسي على وكيل الاشغال وطلبت منهُ خدمة . ومع كل تخفيٍّ عرفني الرجل انني امرأة وهمّ بطردي فأخبرتهُ بجلية امري ورقق الله قلبهُ فشفق عليَّ ولكنهُ اخفاني في الجهة القصوى من القرية فاكتفيت بذلك لعلمي انني وولديَّ في بقعة واحدة وانهما بخير. ومضى عليَّ الى الآن نحو تسع سنوات وانا في هذه الحالة حتى شعرت مؤخرًا بضعف قواي وانحلال عزائمي وخفت ان يباغتني الاجل فطلبت من الوكيل ان يقرّبني من القصر لاتزود نظرةً من زوجي الحبيب وابنيَّ قبل موتي . وبعد الحاحي الشديد اجاب طلبي وهو يخاف من افتضاح الامر الى ان رأيتك يا ولدي الحبيب امس وقدَّر الله ان اضم الى صدري الآن حشاشة كبدي واطلعهُ على سرّي

وكان ليوبولد يسمع والدموع تسيل من عينيهِ وهو كلما تفكر في شقآء والدتهِ يضمها اليهِ ويقبلها . فلما انتهت من الحديث قال لها مهلاً يا اماه فقد حملتِ عذاباً أوجبهُ سوء الظن وحكم القدر فلن تغيب شمس هذا النهار قبل ان تتضح الحقيقة ويأتي والدي اليكِ معتذرًا . فحاولت اماليا ان تحوّل ابنها عن عزمهِ فلم يسمع وتخلص منها فخرج وجعل يعدو الى جهة القصر . وكان قد حان وقت الغدآء فرأى والدهُ في انتظارهِ فجلسا وبينما هما على المائدة طلب ليوبولد من والدهِ ان يقص عليهِ تاريخ حياتهِ وكيفية زواجهِ فقطب الوالد حاجبيهِ فبادرهُ ليوبولد قائلاً انك وعدتني بذلك مرارًا يا ابتاهُ وقد حان ان تفي بوعدك . فأخذ البارون يقص على ابنهِ الحادثة كما

جرت ولما انتهى قال ولا يزال هذا العاشق يراسل تلك الحائنة الى الآن فقد ورد لها منذ غيابها ثلاث رسائل لا اظن غيرهُ كاتبها . فقال ليوبولد وهل فتحت الرسائل يا ابتاه وهل عرفت العاشق . قال كلا لاني اخاف ان يكون من معارفي فلا اضمن ان اميتهُ في ساعة غيظ . فقال ليوبولد ولعل من تدعوهُ عاشقاً كان اخاً أو اباً لتلك المسكينة . فقال البارون وقد اتسعت حدقتاهُ انها كانت يتيمة يا ليوبولد ولم يكن لها اهل . فقال ليوبولد يسهل علينا معرفة ذلك اذا فتحت احدى هذه الرسائل . وكأن البارون قد فتحت عيناهُ فنهض ساكتاً الى خزانتهِ واخرج منها الرسائل ثم عاد وفتح احداها فتلاها صامتاً وما كاد ينتهي من قرآءتها حتى وقف كالمجنون وصاح آه ما اشقاني فقد هدمت سعادتي بيدي . نعم ان ما ظننتهُ في زوجتي خيانة لم يكن الاّ حبّاً اخويّاً وتلك القبلة التي ظننتها قبلة عاشق لم تكن الا قبلة اخٍ لاختهِ فآه ما اتعسني ومن اين لي ان اعرف مقرّ ذلك الملك الطاهر فأجثو تحت قدميها طالباً العفو والسماح

ورأى ليوبولد التأثر الشديد على وجه والدهِ فأطلعهُ على الامر كما وقف عليهِ ولم يكد ينهي قصتهُ حتى خرج البارون مهرولاً وسار ليوبولد معهُ الى ان بلغا البيت الذي كانت اماليا فيهِ وما وقع نظر البارون عليها حتى ألقى نفسهُ بجانب سريرها وصاح العفو يا حبيبتي العفو يا ملكي الحارس ثم خنقتهُ العبرات

وعادت الامور الى أحسن ما كانت عليهِ بين البارون وزوجتهِ وقد عادا بولديهما الى حياة السعادة والسرور والغى البارون امرهُ الاول فأذن لخدمهِ ان يحضروا عيالهم ونساءهم الى القرية كما كانت من قبل . وكتبت اماليا الى اخيها فوجدت انهُ يقيم في الاقطار الاميركية وقد حسنت تجارتهُ وأصبح ذا ثروة واسعة فعاد اليها سرورها من كل وجه ولا سيما باجتماعها بولديها وزوجها وقد نفى من قلبهِ كل غيرة فكان لا يهمهُ سوى ملاطفة ولديهِ وزوجتهِ وتجديد اعتذارهِ اليها يوميّاً ليكفّر عن حياة التقآء التي قضتها بعد ان طردها من قصرهِ